

ما زالت أصوات وتوابع حادثة الكاتب السعودي "حمزة الكاشغري" المتهم بالإلحاد مستمرة وتشغل حيزاً لا يُبأس به من اهتمامات الصحف العربية حتى وصلت ارتداداتها للصحف الغربية، وكثُرت المقالات عن هذه الحادثة وفاض الكلام فيها بين مهاجم ومدافع، وسادت حالة شديدة من الاستقطاب الفكري، بحيث صارت الحيادية والإنصاف في تقييم هذه الحادثة مطلباً عزيزاً ولكنه في نفس الوقت ضروري وحتمي، حتى لا تكون هذه الحادثة وأمثالها تأصيلاً لهذا الاستقطاب والاحتقان الذي يشوش على التقييم المفيد وال حقيقي، وحتى لا تتحول لكتاب أخيل يستغلها كل كاره وحاقد وبغض للإسلام والمسلمين من أجل الطعن فيه.

ويجولة واسعة على وسائل الإعلام التي تناولت الحادثة، ويقرأة متأنية وفاحصة - قدر جهدي - لما كتب بخصوصها من كلا الفريقين - المهاجم والمدافع - نلاحظ عدة أمور منها:

**الأمر الأول:** أن ثمة تضخيماً مفتعل لهذه القضية وإبراز لها على أنها قاصمة الظهر ونذير الخراب الذي لا بعده ولا قبله، وهذا التضخيماً لا يخدم في النهاية سوى صاحب القضية نفسه ومن يقف وراءه، وهذا التضخيماً للأسف لم يأت من العلمانيين أو الليبراليين أو من هو على شاكلة الكاشغري، لكن من الغيورين والمدافعين عن جانب الحبيب وسيد الخلق محمد صلوات ربى وتسليماته عليه، فقد تبارى العلماء والكتاب الإسلاميون وطلبة العلم في تصوير الحدث واستبعاده وتهويله وتجييش المشاعر واستفار القراء والناس ضد الكاشغري، مما جعل الناس يظنون أن حادثة الكاشغري ظاهرة ولا نادرة، وأن الإلحاد قد أصبح الخطراً الأعظم الذي يواجه الأمة، وأنه قد انتشر في كل مكان، مع إقرارى ب بشاعة الحادثة وردة صاحبها وضرورة التصدي له ولأمثاله بأقصى حزم، ووجوب قيام أهل العلم بدورهم في التصدي لمثل هذه الجرائم البشعة، ولكن المبالغة من قبل الغيورين في تضخيماً الحدث ألقى بظلال قاتمة على الوضع داخل المجتمعات الإسلامية عموماً وال سعودي خصوصاً، ووسمت العالم الإسلامي بما ليس فيه من شيوخ الإلحاد والزنقة، مع أن أمثال هذه الحوادث قد وقعت عبر التاريخ ولم يخل منها عصر، وطابور الملاحدة طويل وممتد، وتعامل معهم المسلمين السابقون حكومة وشعباً بمقتضى الشريعة دون تهويل ولا إهمال، وبدأ تضخيماً الحالات الشاذة وإبرازها هو مبدأ صهيوني الأصل وضعه الطيب النمساوي فرويد الذي بنى دراسته ونظرياته على أمثال هذه الحوادث الشاذة وجعلها الأصل في المجتمع، والتعامل الأمثل مع الحدث هو تقديم للقضاء وفضح منهجه وطريقته ومن هو على شاكلته ومن يقف ورائه ويدعمه ولو كان في أعلى المناصب، دون مبالغة تسيء للمجتمع وتعيق عمل العدالة وتطبيق العقاب الذي يستحقه.

**الأمر الثاني:** أن هذه الحادثة مع إقرارنا بأنها نادرة وليس ظاهرة إلا أنها على فرديتها وندرتها تستحق الدراسة

والبحث والنظر، خاصة وأنها قد وقعت في بلد معروف بأنه أكثر البلاد الإسلامية محافظةً وتطبيقاً للشريعة، فتحتاج لأن نجيب على عدة تساؤلات تتعلق بهذه الحادثة، تحتاج لأن نتحاور ونستمع لهذا الملحد الذي تفاخر يالحاده، ونسأله عما خطت أنامله مما يعجز القلم أو اللسان عن إعادةه أو نقله، ونسأله قبل أن نسارع بعقابه وتشهيره، ونقول له كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب بن بلتة: ما حملك على هذا؟ نحاول أن نتعرف على نفسية هؤلاء الملحدين وكيف يفكرون وندخل إلى عقولهم وقلوبهم لنعرف أين الخلل؟ ولا نلقي باللائمة على الكاشغري وحده، ولا يفهم من هذا الكلام أنني أذرره ولو بمثقال ذرة، ولكن أتساءل من أين جاء الخلل؟ هل الخلل في تربيته الأولى في بيته؟ أم في ثقافته وتعلمهه ومن علمه؟ أم في صحبته ورفقاها؟ أم في بعض الرموز والشخصيات المشهورة إعلامياً والتي تطن الكفر والإلحاد وتصطاد ضحاياها في هدوء لترحفهم عن دينهم؟ أم في الواقع الإلكتروني وشبكة الانترنت المليئة بالمواقع التي تروج للإلحاد وتدعى للشك والطعن في الدين؟ فلابد من الوقوف على أسباب الحادثة.

فحادثة الكاشغري قد تتحول مع الوقت إلى ظاهرة ونراها تتكرر كثيراً، وإن المساعدة بالعقاب قبل معرفة الدوافع والأسباب ومن يقف وراءها تمضي على فرص نادرة وهامة في معرفة كيفية علاج هؤلاء، فقد يكون في المجتمع

مثالم كثيـر ولا ندرـي لأنـهم لا يـجـاهـرون كـما جـاهـرـون الكـاشـغـريـ، وـضـرـرـ الصـامـتـينـ لا يـقـلـ أـبـداـ عنـ ضـرـرـ المـجاـهـرـينـ بلـ يـفـوقـهـمـ، فـهـمـ يـنـخـرـوـنـ فيـ جـسـدـ الـمـجـتمـعـ فيـ صـمـتـ وـهـدوـءـ تـامـاـ مـثـلـ مـرـضـ السـرـطـانـ "الـخـبـيـثـ" الـذـي يـنـهـشـ جـسـدـ الـمـرـيـضـ فيـ صـمـتـ وـدـوـنـ أـدـنـىـ أـلـمـ حـتـىـ إـذـاـ وـصـلـ لـمـرـحـلـةـ التـمـكـنـ منـ جـسـدـ الـمـرـيـضـ أـسـفـرـ عـنـ وـحـشـيـتـهـ الـمـمـيـتـةـ وـلـمـ يـجـدـ مـعـهـ عـلاـجـ وـلـاـ دـوـاءـ.

الأمر الثالث: أن العـدـيدـ مـنـ الـمـقـالـاتـ الـتـيـ كـتـبـتـ مـتـنـاؤـلـةـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ خـلـطـتـ خـلـطاـ مـتـعـمـداـ بـيـنـ جـرـيـمةـ الـرـدـةـ وـبـيـنـ بـعـضـ الـظـواـهـرـ السـلـبـيـةـ الـأـخـرـىـ فـيـ الـمـجـتمـعـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ، كـانـهـ عـلـىـ قـدـمـيـ الـمـساـواـةـ فـيـ الـبـشـاعـةـ وـالـفـظـاعـةـ مـعـ جـرـيـمةـ مـنـ عـيـنةـ الرـشـوـةـ أـوـ الـمـحـسـوـبـيـةـ أـوـ الـفـسـادـ الـإـدـارـيـ، وـكـلـهـ جـرـائـمـ وـظـواـهـرـ سـيـئـةـ لـابـدـ مـنـ الـقـضـاءـ عـلـيـهـ بـكـلـ حـزـمـ وـتـطـهـيرـ الـبـلـادـ مـنـهـ، وـلـكـنـ أـيـنـ هـيـ مـنـ الـجـرـيـمةـ الـعـظـمـيـ وـالـجـنـايـةـ الـكـبـرـيـ بـحـقـ سـيـدـ الـخـلـقـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ؟ـ وـبـعـضـ كـتـبـ وـكـانـ هـذـهـ الـظـواـهـرـ وـالـآـفـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ هـيـ الـمـسـؤـلـةـ وـرـبـماـ الـمـبـيـحـةـ فـيـ كـتـابـاتـ بـعـضـهـمـ لـهـذـهـ جـرـيـمةـ الشـنـاعـ، فـيـ حـينـ كـتـبـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ مـاـ يـنـسـبـ نـفـسـهـ لـلـفـكـرـ وـالـعـقـلـانـيـةـ عـنـ الـحـادـثـةـ مـعـتـبـرـاـ إـيـاهـاـ نـوـعـاـ مـنـ أـنـوـاعـ الـاستـبـادـ بـاسـمـ الـدـيـنـ وـاـسـتـخـدـامـ التـكـيـلـ بـالـكـاشـغـريـ لـإـلهـاءـ الـشـعـوبـ عـنـ الـظـلـمـ وـالـفـسـادـ الـرـاتـعـ فـيـ مـجـتمـعـاتـهـ، وـاـسـتـحـضـرـ نـمـاذـجـ تـارـيـخـيـةـ مـنـقـوـصـةـ مـنـ عـهـدـ الـخـلـيـفـةـ الـعـبـاسـيـ الـمـهـدـيـ بـالـلـهـ وـهـوـ مـنـ أـكـثـرـ الـخـلـفـاءـ تـبـيـعاـ لـلـزـنـادـقـ وـالـمـلـاحـدـةـ وـقـتـلـ مـنـهـمـ الـكـثـيـرـينـ، اـسـتـحـضـرـهـاـ مـبـتـورـةـ مـنـقـوـصـةـ دـوـنـ تـمـحـيـصـ وـلـاـ تـدـقـيقـ وـلـاـ تـحـقـيقـ وـلـاـ حـتـىـ دـوـنـ أـدـنـىـ مـرـاعـاـةـ لـأـصـوـلـ الـنـقـلـ الـتـارـيـخـيـ أـوـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ،ـ لـيـلـصـقـ هـذـهـ بـتـلـكـ،ـ وـيـحـيـدـ فـيـ النـهـاـيـةـ عـنـ أـصـلـ الـمـوـضـوـعـ وـيـلـقـيـ بـالـلـائـمـةـ كـلـهـ عـلـىـ الـأـنـظـمـةـ الـحـاكـمـةـ،ـ بـصـورـةـ أـظـهـرـتـ الـكـاشـغـريـ بـأـنـهـ ضـحـيـةـ وـقـرـيـانـ يـذـبـحـ لـإـرـضـاءـ شـبـقـ الـإـسـلـامـيـنـ لـلـدـمـ عـلـىـ حـدـ وـصـفـ أـحـدـ رـمـوزـ الـلـيـبـرـالـيـةـ وـالـعـلـمـانـيـةـ فـيـ بـلـادـ الـحـرـمـينـ.

الأمر الرابع: أنـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ قـدـ كـشـفـتـ بـجـلـاءـ عـنـ عـدـةـ حـقـائـقـ هـامـةـ تـعـلـقـ بـالـأـدـوارـ الـمـشـبـوـهـةـ وـالـخـطـيرـةـ الـتـيـ تـلـعـبـهاـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـامـ فـيـ بـلـادـ الـحـرـمـينـ،ـ وـكـيـفـ أـنـهـ تـقـفـ فـيـ الـخـنـدقـ الـمـقـابـلـ لـهـوـيـةـ وـأـصـالـةـ وـمـرـجـعـيـةـ وـثـقـافـةـ الـشـعـوبـ الـإـسـلـامـيـةـ عـمـومـاـ وـالـسـعـودـيـ خـصـوصـاـ،ـ فـوـسـائـلـ الـإـلـاعـامـ قـدـ كـشـفـتـ وـأـسـفـرـتـ عـنـ لـيـبـرـالـيـةـ قـبـيـحـةـ تـبـرـأـيـ انـحرـافـ يـقـعـ فـيـ الـمـجـتمـعـ حـتـىـ لوـ وـصـلـ لـدـرـجـةـ الـإـسـاءـةـ لـجـنـابـ سـيـدـ الـخـلـقـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ وـتـحاـولـ اـنـتـهـازـ أـيـ حـادـثـةـ مـنـ أـجـلـ النـيلـ مـنـ التـيـارـ الـدـيـنـيـ الرـسـمـيـ وـالـتـطـوـعـيـ فـيـ بـلـادـ الـحـرـمـينـ،ـ وـتـشـوـيهـ وـتـضـليلـ الرـأـيـ الـعـامـ بـخـصـوصـ أـدـاءـ وـفـعـالـيـةـ هـذـاـ التـيـارـ الـإـسـلـامـيـ وـآلـيـةـ حـرـكـتـهـ وـمـدـىـ نـفـوذـهـ،ـ كـمـاـ كـشـفـتـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ عـنـ الدـورـ الـأـشـمـ الـذـيـ تـلـعـبـ الـمـراـكـزـ الـبـحـثـيـةـ وـالـمـعـلـومـاتـيـةـ الـتـيـ تـدـعـيـ التـثـقـيفـ وـالتـوـيـرـ وـهـيـ تـنـشـرـ الـمـفـاسـدـ وـالـانـحرـافـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـعـقـائـدـيـةـ وـتـتـبـعـ مـنـهـجـ الـهـالـكـ عبدـ اللـهـ الـقـصـيـمـيـ فـيـ طـرـحـ الـأـسـئـلـةـ وـالـتـشـكـيـكـ وـالـلـمـزـ الـخـفـيـ لـلـعـقـائـدـ وـالـثـوابـتـ الـدـيـنـيـةـ فـيـ الـمـجـتمـعـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ

وـإـجـمـالـاـ فـيـ قـضـيـةـ الـكـاشـغـريـ حـادـثـةـ ذـاتـ عـبـرـ وـدـلـلـاتـ وـتـحـتـاجـ لـوـضـعـهـاـ فـيـ إـطـارـهـاـ الـمـعـرـفـيـ وـالـبـحـثـيـ الصـحـيـحـ لـسـتـخـرـجـ مـنـهـاـ أـهـمـ الـدـرـوـسـ فـيـ كـيـفـيـةـ التـصـدـيـ لـهـاـ وـوـضـعـ روـشـتـةـ عـلـاجـ وـقـائـيـةـ تـمـنـعـ تـكـارـارـهـاـ،ـ وـنـزـعـ فـتـيلـ أـزـمـةـ قـدـ تـبـدوـ عـنـ كـثـيـرـ مـنـ الـمـتـشـائـمـيـنـ فـاتـحةـ شـرـورـ لـاـ تـنـتـهـيـ عـلـىـ بـلـادـ الـمـسـلـمـيـنـ.

كاتـبـ الـمـقـالـةـ :ـ شـرـيفـ عـبـدـ الـعـزيـزـ  
تـارـيخـ النـشـرـ :ـ 26/02/2012ـ  
منـ مـوـقـعـ :ـ مـوـقـعـ الشـيـخـ مـحـمـدـ فـرجـ الـأـصـفـرـ  
رابطـ المـوـقـعـ :ـ www.mohammdfarag.com